

1651 - قراءة: في كراسات التدريب (بخيب محفوظ)

ص 64 من الكراسة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

نجيب محفوظ

أم كلثوم نجيب محفوظ

فاطمة نجيب محفوظ

لو شاء الله لجعلهم أمة واحدة

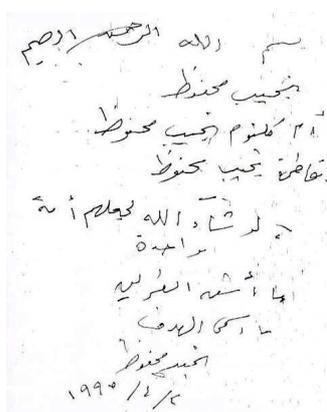
ما أشق الطريق

ما أسمى الهدف

نجيب محفوظ

1995/4/5

القراءة:



نحن في صفحة 64، وفجأة عاد نفس الترتيب في التدريب الذي لاحظناه في الصفحات الأولى وفسرناه بأن شيخنا بدأ تدريباته بكتابة اسمه واسم كريمته نظرا لاعتياده كتابة "نجيب محفوظ" وظل تصوري كذلك ما توالى هذا التواتر بهذا الترتيب دون إلزام، ولكنى رحمت ألاحظ تراجع ذلك الترتيب قليلا أو كثيرا، ثم ها هو يعود بنفس النظام بالضبط، مع أننا وصلنا إلى صفحة 64، إذن لم تكن المسألة استسهالا ولا تعودا، لكنها البسلة فاسمه ثم كريمته، بكل الإيمان والحب المتجدد.

عذرا يا شيخنا وأهلا بكم من جديد

العبارات الثلاث التي وردت بعد ذلك لم ترد من قبل في أى من الصفحات السابقة.

أولاً: "لو شاء الله لجعلهم أمة واحدة"،

نص الآية الكريمة هي أنه "وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً"، فيصلى ما وصلنى منه دائماً من ترحيب بالاختلاف بكل معنى الكلمة، وأتصور أنه، توقف عند هذا المقطع من معنى الآية الكريمة بشجاعة دون أن يكملها ليسمح لنا - بعكس ما ذهب إليه أغلب المفسرين - أن نفتح الآفاق لتقبل كل أنواع الاختلاف: فى العقيدة، والأصول الاثنية، والثقافات، واللون، والمواقع الجغرافية والطبقات الاجتماعية، وهذا يقربنا مما يكمل هذا الموقف الحر المنفتح بقوله تعالى: "وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا" فالاختلاف هو للتعارف، وليس للفتاخر، وإرادة الله عز وجل، تؤكد لنا أنه لم يشأ أن نكون على شاكلة واحدة، وإلا لفسدت الأرض.

التعمق فى هذا الموقف جعلنى أعيد النظر وأنا أتساءل ياترى هل يختلف أفراد أو جماعات نفس أى جنس حى آخر، غير الإنسان، عن بعضهم البعض بنفس درجة اختلاف البشر، من أول بصمات الأصابع حتى حامض الدنا DNA مروراً بالفكر والعقائد، وتأتىنى الإجابة أن الأرجح هو أن الجنس البشرى قد يتفرد بهذه المزية أو بهذا الامتحان، لنكون بشراً فنتعارف لنبقى. ثم يردف شيخنا بعد ذلك:

#### ما أشق الطريق

#### وما أسمى الهدف

أما الطريق، كما جاء فى كل قراءتنا له، فهو الطريق "إليه" سبحانه وتعالى، وهو ما عرفته أكثر بعدما اقتربت منه، لم يعد فى ذلك شك، الطريق هو "إليه" مع تعدد الأشكال من أول زعبلاوى حتى دار الجبل فى ابن فطومة مروراً بأولاد حارتنا متوجاً بالخرافيش، وهو طريق شاق فعلاً لكن يبدو أنه لا بديل عنه إلا الضياع والتقزيم والعدم، ففى نهاية النهاية نجد أنه طريق أوحدهما تنوعت سبل الوصول إليه،

#### ولا يخفف من مشقة الطريق إلا سمو الهدف.

بعد أن وصل ابن فطومة إلى ما لاح له على أنه دار الجبل ظل الجبل فى مدى الرؤية دون أن يصل إليه، وتنتهى الرواية بأنها بداية ولعل الغاية تظل هكذا بهذا التفتح المستمر،

هذا السمو يتجلى حين يقع الهدف فى مدى الرؤية الأملّة دون إلزام أو لهفة للوصول الفعلى إليه، فتظل الحياة متجددة وتهون مشقة الطريق، ويستمر الكدح أبداً بوعدٍ كريم.